

انتفاضة أولاد ضاعن ضد الإحتلال الفرنسي بمنطقة قالمة وضواحيها عام 1852

من خلال الوثائق الأرشيفية

The uprising of the Ouled Dhan against the French occupation in the Guelma region and its suburbs in 1852 through archival documents

1- فاتح علمي*، مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة (الجزائر)

eulmi.fateh@univ-guelma.dz

2- شايب قدادرة، مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة

Chaibkedadra21@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2025 /04/21 تاريخ القبول: 2025 /05/25 تاريخ النشر: 2025 /06/05

ملخص:

لقد شكلت انتفاضة القبائل في مختلف جهات البلاد إحدى أهم مظاهر الرفض والتصدي للإحتلال الفرنسي، حيث شهدت سنة 1852 ثورة عدة قبائل في الشرق الجزائري، وكانت منطقة قالمة في طليعة الجهات التي انتفضت خلال هذه السنة من خلال الثورة التي أعلنها أهالي قبيلة أولاد ضاعن، لتتوسع حركة الانتفاضة بعد أيام قليلة نحو قبيلة الحراكمة في عين البيضاء وامتددت إلى الشرق والجنوب الشرقي من قالمة، إذ وصلت إلى بلاد الحنانشة وقبيلة بني صالح، وقد واجهت الإدارة الفرنسية هذه الانتفاضة باتخاذ كل تدابير القمع لإخمادها. فما هي مظاهر مقاومة الاحتلال الفرنسي في منطقة قالمة وضواحيها سنة 1852؟ وهو ما سنجيب عليه في ضوء التساؤلات التالية:

.ماهي أسباب هذه الانتفاضة؟ وما مدى إنتشارها؟ وكيف واجهتها الإدارة الفرنسية؟ وما هي

أبرز نتائجها؟

كلمات مفتاحية: الانتفاضة، أولاد ضاعن، قالمة، القمع، الاحتلال.

Abstract:

The uprising of the tribesmen in various parts of the country was one of the manifestations of rejection and resistance to the French occupation and its criminal policies, The year 1852 witnessed a revolution by several tribes from eastern Algeria, The Guelma region was at the forefront of the regions that rose up during the revolution declared by the people of the Ouled Dhan tribe, The uprising movement expanded a few days later towards the south, where the Harakta tribe revolted in Ain Beida and extended to the east and southeast of Guelma, reaching the lands of the Hanencha and the Beni Salah tribe, The French administration faced this uprising by taking all repressive measures to suppress it and impose a colonial presence.

What are the appearances of resistance to the French occupation in the Guelma region and its suburbs in 1852?

We Will answer This through the Following questions: What are the reasons for This collective uprising? How did the french administration face It ?

And what are its most prominent results?

Keywords: uprising, repression, occupation, Ouled Dhan, Guelma.

● مقدمة

تعتبر انتفاضة أولاد ضاعن بالجنوب الشرقي من قائمة من أبرز مظاهر المقاومة وعدم الرضوخ للاحتلال الفرنسي في المنطقة مع مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، هذه الانتفاضة التي زعزعت استقرار التواجد الفرنسي في مقاطعة بون وأبطلت مزاعم الإدارة الفرنسية التي كانت تدعي بأن هذه المنطقة تعيش في ظل الاستسلام ويخيم عليها الأمن والهدوء، خاصة أمام اتساع لهيها الى مناطق أخرى مجاورة لإقليم قائمة وهو ما سنقوم بتسليط الضوء عليه من خلال المصادر التي توفر لنا رصيذا من المعلومات بخصوص هذه الدراسة سواء كانت الوثائق الأرشيفية لأقاليم ما وراء البحار، أو الجرائد الفرنسية والكتب المصدرة المعاصرة لهذه الإنتفاضة و تركز هذه الدراسة على إشكالية محورية تتعلق بمظاهر الإنتفاضة بمنطقة قائمة و ضواحيها و التي يمكن معالجتها في ضوء جملة من التساؤلات الفرعية التالية:

ماهي دوافع الإنتفاضة؟ وما مدى إنتشارها؟ وفيما تتمثل سياسة الإدارة الإستعمارية للقضاء عليها وما هي أهم نتائجها؟

1. أسباب الانتفاضة:

لقد شكلت الطرق الصوفية إحدى أبرز دوائر الصراع والعداء ضد الإدارة الاستعمارية وخاصة الطريقة الرحمانية التي تغلغل نفوذها بشكل كبير في شرق قسنطينة بقيادة سي علي بن محجوب الذي كان دائما يتجنب الإتصال بالسلطات الفرنسية حسب تقرير أعده المكتب العربي بقالة عام 1850 وهو ما جعله تحت المراقبة الشديدة، خاصة في ظل التأثير والامتداد الواسع للطريقة الرحمانية عبر قبائل قالمة وإتحاد الحنانشة¹ ووصلت حتى الى بلاد الحراكمة وبون وتبسة² وحول القالة وانتشرت حتى إلى الجنوب في ورقلة³. لقد أدى تتبع و مراقبة نشاط علي بن محجوب ابتداء من شهر أوت 1851 بأمر من المقدم بيريجو Périgot قائد دائرة قالمة إلى التأكد من أنه يتلقى زيارات عديدة من أشخاص عبر جميع أنحاء قسنطينة وكان ينشر روح العداء ضد الفرنسيين⁴، وأثناء اتصاله بالحراكمة كانوا يتوسلون إليه بأن يدعو لهم الله أن يرفع عنهم الغبن الذي يعيشونه⁵، خاصة منذ أن عينت الإدارة الفرنسية الخليفة بن بأحمد⁶

¹ A.N.O.M, ALG, GGA Série H, Boite 6H33: Notice bibliographique supplémentaire préparée le 7 aout 1850 par lieutenant-colonel Delort chef du bureau arabe de Guelma.

² Charles Féraud: les Harar seigneurs des Hanencha, étude historique, revue africain, N18, 1874, p 385.

³ Gazette du midi, N 6001, dimanche, 4 juillet, 1852, p 2.

⁴ A.N.O.M, ALG, GGA Série K, Boite 1K84: Lettre du 31 décembre 1851 du colonel de Tourville commandant la subdivision de Bône au général commandant la province de Constantine.

⁵ A.N.O.M, ALG, GGA Série K, Boite 1K84: Lettre du 24 Février 1852 du colonel de Tourville commandant la subdivision de Bône au général commandant la province de Constantine.

⁶ سي علي بن بأحمد أكثر رجال ولاية قسنطينة تأثيرا قدم خدمات كبيرة للفرنسيين بعد الإستيلاء على قسنطينة وكان يتمتع بمصداقية كبيرة لدى الجزائرلات قادة قسنطينة سافرا إلى باريس وقابله الملك وقلده صليب القائد الذهبي أنظر:

La France, N 169, mercredi, 18 juin, 1845, p 2.

قائدا عليهم منذ سنة 1838، حيث مارس ضدهم كل أنواع التعسف كإجبارهم على تخفيض سعر بيع الصوف الذي يشكل دخلهم الرئيسي، ومنعهم من تسويقه خارج عين البيضاء، مما جعلهم يخططون لقتله¹.

كما طالب الحراكته من علي بن محجوب بأن يتوسط لهم لدى السلطات الفرنسية في قسنطينة ويطلب منهم الخروج من البلاد، وهكذا أصبحت الإدارة الإستعمارية تنظر إلى جماعة الرحمانية أنها هي مصدر الاستفزاز والعداء لفرنسا، لذلك يجب أن تصل إليهم العقوبة² وبناء على تعليمات من القائد العام لمقاطعة قسنطينة، شرع المقدم بيريجو في بداية شهر مارس 1852 في حملة إنتقام ضد أعضاء الرحمانية أسفرت على اعتقال علي بن محجوب وآخرين³ وهو الحدث الذي رحب به قائد دائرة قالمة⁴، غير أن هذا الإجراء الصارم اهتزت له مشاعر العامة وأثار ردود فعل معادية خاصة في دائرة قالمة.

ووفقا لتحاليل أجراها العقيد دي تورفيل De Tourville قائد تقسيم بون فإن أسباب أخرى تقف وراء الانتفاضة تشمل المساهمات التي كان السكان يجبرون على دفعها لإنشاء الطرق ومراكز القيادة وإحصاء ممتلكات أفراد القبائل من أجل فرض الغرامات، والزحف المتواصل للاستيطان الأوروبي وعمليات القمع التي مست الأهالي والفرار العسكري الذي تعانیه منطقة شرق قسنطينة⁵. وحسب التقرير الذي أعده الملازم كوزين Cousin رئيس المكتب العربي في قالمة في نهاية عام 1852 فإن التمرد ناتج عن الاستيلاء على أراضي الاستيطان، مما أفقد بعض القبائل أجود ما تملك وجعل القبائل الأخرى تخشى من نفس المصير وأن الإخوان الدينيين استغلوا هذا السخط العام وفي صيف 1852 انتشرت شائعات مفادها قدوم دعم

¹ Le Siècle, 17^e année, N 5991, mercredi, 12 mai, 1852.

² A.N.O.M, ALG, GGA 1K84, Lettre du 24 Février 1852, op, cit.

³ A.N.O.M, ALG, GGA Série K, Boite 1K84: Lettre du 4 mars 1852 du lieutenant-colonel Périgot commandant du cercle de Guelma au général commandant la province de Constantine.

⁴ A.N.O.M, ALG, GGA Série K, Boite 1K84: Lettre des 26 et 30 mars 1852 du colonel de Tourville commandant la subdivision de Bône au général de salles commandant la province de Constantine.

⁵ A.N.O.M, ALG, GGA Série K, Boite 1K84: compte-rendu de l'insurrection de 1852 et des opérations militaires auxquelles elle a donné lieu par le colonel de tourville commandant la subdivision de Bône datée du 5 juillet 1852.

عسكري للقوات التونسية عبر الحدود محملة بالأسلحة والبارود للمشاركة في طرد الفرنسيين من الجزائر وأن فرنسا تبدو ضعيفة وحان الوقت لإخراجها، كما يرى كوزين أن المنتفضون مصممون على طرد المحتل من الإقليم كما هو الحال في كل الانتفاضات، إذ يعتبرونه دخيلا وأجنبيا في العادات والدين واللغة.¹

2- بداية الانتفاضة من أولاد ضاعن 1852:

لقد بدأت الشرارة الأولى لانتفاضة أولاد ضاعن² بالهجوم على معسكر للعمال بعين السوددة الواقعة في الجنوب الشرقي من قالمة في ليلة 1 إلى 2 جوان³ في الساعة الثانية صباحا بينما كان الجميع نائمون بسلام⁴، هذا المعسكر الذي يضم الفرق المسؤولة عن شق الطريق من قالمة إلى عين السوددة والذي شرعت في إنجازه مفرزة مكونة من حوالي خمسون جنديا فرنسيا من بينهم ثلاثون سجيننا بقيادة رقيب مهندس⁵ ونحو ستون مواطنا من السكان الأهالي⁶ معظمهم من قبيلة أولاد ضاعن كانوا يعملون في الموقع بالسخرة

¹ A.N.O.M, ALG, GGA SERIE H ,BOITE 10H14, Rapport du 31 décembre 1852 du lieutenant cousin chef du bureau arabe de Guelma sur l'historique de l'année 1852

² أولاد ضاعن قبيلة بربرية من القبائل التي تتشكل منها دائرة قالمة نزحت من جبل أوراس الشاوية يحدها من الشمال الغربي أولاد حريد ومن الغرب العشاش ومن الجنوب سلاوة وجبل المائدة ومن الجنوب الشرقي بني قشة والمشاعلة أنظر:

-A.N.O.M, ALG, GGA Série M, Boite 1M80 /118, Dossier N°18, carte 1888 -1891 , Tribu des Sellaoua Announa, Bir Menten, Zouabi, Maida, oued Hammimine, Khamissa, oued M'guesba, et: E, carette: origine et migrations des principales Tribus de l'Algérie, imprimerie impériale, paris, p 447.

³ A.N.O.M, ALG, GGA Série K, Boite 1K84 ,Rapport de 6 juillet 1852 du capitaine Delort chef du bureau arabe de Guelma sur l'insurrection du cercle en 1852.

⁴ L'indépendant de la Charente inférieure, cinquièmes année, N° 547, dimanche, 20 juin 1852, p3.

⁵ A.N.O.M, ALG, GGA 1K84, op, cit.

⁶ Moniteur algérien, journal officiel de la colonie, vingtunieme année, N°1196, 25 juin ,1852, p 5.

وللإشارة، فقد كان قائد الغرفة الأخضر بن مراد حاضرا في هذا المعسكر في تلك الليلة¹، هذا الموقع الذي كان يشهد في نفس الوقت بناء واحد من ضمن أربع خانات caravansary² في دائرة قالمة انطلقت فيها الأشغال في شهر أفريل من نفس العام كمساهمة طوعية بمبلغ 109000 فرنك قدمها سكان الدائرة³ وقد تم الاتفاق على حدوث هذه الانتفاضة في سوق سدراته⁴ وحسب المعلومات التي تمكن من جمعها النقيب ديلورت Delort رئيس المكتب العربي في بون في صبيحة يوم 2 جوان فإن عملية عين السوداء كان من المفترض أن تحدث قبل الوقت الذي جرت فيه بيومين، أي في 31 ماي كما كان مقررا في سوق سدراته في قبيلة الخراب على أن يتزعمها محمد الهاشمي المعروف أنه الخادم الأول والذراع الأيمن لعلي بن محجوب أحد الشخصيات البارزة في الطريقة الرحمانية الذي وقع في قبضة الاعتقال لدى الإدارة الفرنسية في شهر مارس سنة 1852، بتواطؤ مجموعة مكونة من ستة أشخاص ينتمون إلى قبيلة بني أوجانة وقبيلة الخراب المجاورة، وحسب المعلومات التي أوردتها سلطات الإدارة الاستعمارية فإن الهجوم على معسكر عين السوداء كانت من ورائه مجموعة عناصر من قبيلة العشائش وأولاد ضاعن بالإضافة إلى إخوان من قبائل مختلفة، ولعب أفراد أولاد ضاعن الذين كانوا يعملون في المخيم دورا هاما في تقديم المساعدة للعناصر التي نفذت الهجوم، حيث يقول العقيد دي تورفيل De Tourville "الهجوم على المعسكر عديم الفعالية وغير حاسم تم تنفيذه ليلا من قبل مواطنين أجنب في البلاد"⁵.

وتشير بعض المصادر الأخرى إلى أن المنتفضون قد اتجهوا في البداية إلى مناجم النحاس الواقعة في سلاوة⁶ لكن قبل وصولهم إلى هذه النقطة غيروا اتجاههم نحو معسكر عين السوداء وتعود أسباب ذلك إلى أنهم

¹ A.N.O.M, ALG, GGA 1K84, op, cit.

² الخانات هي مكان للإقامة الليلة والراحة للتجار (مخيم) أنظر:

Le Moniteur universel, journal officiel de la république Française, N°261, Vendredi, 17 septembre, 1852, p 3.

³ Moniteur Algérien, 25 juin, 1852, op, cit.

⁴ Journal des villes et des compagnes, 39^e année, N°108, Vendredi, 25 juin, 1852, p1.

⁵ A.N.O.M, ALG, GGA 1K84, compte rendu de l'insurrection de 1852, op, cit.

⁶ قبيلة السلاوة أصلها من العرق البربري وجميع فصائلها جاءت من جبل سلاوة بالأوراس تقع جنوب أولاد ضاعن وتمتد حتى إلى بلاد الحراكمة أنظر:

-A.N.O.M, ALG, GGA 1M80/18, op, cit. Et. E carette: origine et migrations, op, cit, p 446.

كانوا يخشون قدوم تعزيزات عسكرية فرنسية قريبا، أو لعلمهم أنهم سيواجهون معارضة من قبل العرب في المنطقة¹.

3- انتفاضة الحراكطة (عين البيضاء):

في 28 أبريل 1838، قاد الجنرال نيجريه Négrier الحملة الاستكشافية الأولى ضد بلاد الحراكطة² لمنهم من حمل السلاح إلى جانب أحمد باي الذي نزح إلى الأوراس بعد سقوط قسنطينة، والثانية قادها الجنرال قالبوا Galbois قائد مقاطعة قسنطينة لنفس الهدف على متن رتل تموقع به في مرج كحيل لدى قبيلة السلاوة، فانسحب الحراكطة دون مواجهة³ غير أن غالبوا تلقى أمرا من الحاكم العام بالعودة فتخلى عن الحراكطة ليذهب إلى الببيان وفي 10 ماي 1840، عاد مرة أخرى على متن قوة إلى الحراكطة، حيث انضم إليه الجنرال غرينغريت Gringret في معسكر عين ببوش، فهرب الحراكطة مع اقتراب الرتل وانطلق الجنرال في مطاردتهم في 18 ماي حيث وصل إلى عين البيضاء⁴ وفي يوم 19 عسكر في عين السجرة ودارت المواجهات بالقرب من مسكيانة، وتم سحق الحراكطة التي ظلت مسالمة لمدة 12 عاما⁵ وعند قيام حركة الانتفاضة التي نشأت بين أولاد ضاعن، انتشرت بسرعة إلى الجنوب بين الحراكطة والنمامشة وجزء من السقنية⁶

¹ L'industrie, journal du commerce et du travail, 8^e année, N°146, mercredi, 23 juin 1852, p 2.

² الحراكطة قبيلة بربرية تنتمي إلى هواره كانت من أغنى وأقوى القبائل في المنطقة استطاعت دون صعوبة تكوين قوم من 1500 فارس أنظر:

-Charles Féraud: Ain Beida, revue Africaine, N°96, 1872, pp , 407- 410.

³ J- Maguelonne: Monographie Géographique et historique de la Tribu des Sellaoua kherareb, 5^e volume de la 5^e série, constantine, 1914, p, 414.

⁴ عين البيضاء تقع تقريبا في وسط الحراكطة غالبية سكانها ينتمون إلى قبيلة هواره البربرية تكونت كدائرة في 23 سبتمبر 1852 أنظر:

-Charles Féraud, op, cit, pp, 401-407.

⁵ J- maguelonne, op, cit, pp, 414-420.

⁶ Le siècle, Dix-septième année, N°6040, Jeudi, 1^{er} juillet, 1852, p 2.

ففي اليوم الخامس من شهر جوان ،تعرضت عين البيضاء إلى هجوم قوي من قبل الحراكطة ،فكان من الضروري تعبئة جميع القوات المتاحة¹، حيث تحرك العقيد طاربوريش Tarbouriche في نفس اليوم على رأس قوة قوامها ثلاثمائة رجل من الزواف وخمسون من الرماة الأفارقة لحماية أحد المناجم المجاورة لعين البيضاء (مناجم القارسا)²، وتلقى أوامر لقيادة رتل للتحرك نحو عين البيضاء لتطهير هذا الموقع ،واتخذ العقيد ديسفو Desvaux نفس الاتجاه قادما من باتنة إلى عين البيضاء يوم 8 جوان رفقة مائتان وخمسون رجلا من الفيلق الأجنبي ومائة وخمسة وعشرون من الرماة الأفارقة ،كان من المقرر أن تصل هذه القوات معا في اليوم العاشر لإنقاذ هذا الموقع المهدد في وقت كان فيه قلق كبير لدى القيادة في قسنطينة³ التي وصلتها أنباء مفادها أن مدينة عين البيضاء التي يقودها النقيب بونفالي Bonvallet كانت محاصرة بقوات كبيرة تعدادها حوالي ثلاثة آلاف فارس ينتمون إلى الحراكطة والناماشة وفصيل السقنية المسى أولاد محبوب⁴. وأمام تزايد الشعور بالخطر، هرب عمال المناجم المتواجدة على بعد اثنان وثلاثون كيلومتر شمال غرب عين البيضاء (مناجم السيد شيرات M, Chirat)⁵

وتركوا عملهم ولوازمهم ولجأوا إلى المدينة⁶لقد أبدى بونفالي مقاومة قوية ضد عناصر الانتفاضة في اليومين الخامس والسادس ،حيث تجمع حوالي ستون رجلا من الصباحية الأهالي مع دعم أهل الخليفة لهم ،فتكبد الحراكطة خسائر كبيرة حينها قرر بونفالي التراجع تزامنا مع اقتراب قوات الإغاثة ،وفي الحادي عشر من الشهر الجنرال مايسيات Maissiat الذي كان على رأس رتل للحفاظ على الهدوء في منطقة سطيف ،أمر بارسال مقاتلي الكتيبة السادسة عشر إلى قسنطينة ،والتي كان من المقرر أن تساعد في

¹ Ferdinand Quesnoy: L'armée d'Afrique depuis la conquête d'Alger, Librairie Furne Paris, 1888, p 308.

² القارسا جبل غرب عين البيضاء على بعد 48 كلم وهو منجم للرصاص الفضي أنظر: Charles Féraud, op, cit, p 404.

³ Moniteur algérien, journal officiel de la colonie, vingtunieme année, N°1218, 15 Octobre 1852, p5.

⁴ Le petit courrier, 31^e année, N°571, Vendredi, 25 juin ,1852, p3.

⁵ A.N.O.M, ALG, GGA Série F, boîte 3F17, Dossier N1197, demande Formée par le sieur chirat a l'effet d'obtenir concessions des mines de cuivre d'antimoine et de plomb situées dans Territoire de Harakta province de Constantine, 1846.

⁶ Gazzette du midi, N°6001, dimanche, 4 juillet ,1852, p2.

تشكيل لواء دوتماري D'Autemare الذي كان سيعمل معه لتطهير عين البيضاء¹، اتحدت قوات دوتماري مع كتيبة اللواء السادس عشر التي أعادها من منطقة القبائل من نفس الفوج الذي وصل من رتل ميسيات مع قوات الزواف التي يقودها العقيد طاربريش، وفي اليوم العشرين من جوان كان قد وصل إلى وسط الحركة² وفي هذه الأثناء زاد عدد عناصر الانتفاضة إلى ما يقارب خمسة آلاف رجل وكانت عائلة الخليفة محبوسة في برجهم مع سبعة وعشرون رجل من القوم وخدمهم الخاص، وأما الحامية الصغيرة فلم تغادر مقر القيادة الذي ظل يدافع عنه الصباحية باستمرار، وبوصول رتل دوتماري تم تطهير عين البيضاء رغم مقاومة الحركة³ حينها قام العقيد دو تماري بتجميع الدواوير حول برج عين البيضاء وألزمهم بدفع الضريبة، وفي اليوم الحادي والعشرين ترك سرية وكتيبة من اللواء السادس عشر وتوجه إلى بلاد الحنانشة، أما العقيد ديسفو القائد الأعلى لباتنة والذي غادرها في 8 جوان متجها إلى عين البيضاء فقد تلقى عروض الاستسلام⁴ وعاد إلى خنشلة مباشرة بعد رفع الحصار عن النقيب بونفالي⁵ واطمأن الحاكم العام راندون Randon على إثر تلقيه لبرقية من قسنطينة مفادها أن تمرد الحركة قد تم تهدئته بأكمله⁶ وأن الحركة طلبوا السلام وتم تغريمهم بمبلغ 360 ألف فرنك بالإضافة إلى الضرائب فسددوا المستحقات دون الحاجة إلى الضغط عليهم وعم السلام منذ ذلك الحين⁷.

4- توسع الانتفاضة إلى بلاد الحنانشة (سوق اهراس):

في سنة 1843 دخل الفرنسيون إلى بلاد الحنانشة، حيث أقاموا مركزا عسكريا صغيرا برئاسة نقيب في موقع سوق اهراس فضلا على أنهم شرعوا في إنشاء مبنى مهم ومحصن عرف ببرج الفندق ليكون بمثابة ملجأ في حالة حدوث أي اضطرابات خطيرة⁸ كما يمكن استخدامه نزلا ومستودعا للتجار في نفس الوقت

¹ Moniteur algérien, op, cit, p 5.

² Ibid, p 6.

³ L'industrie, op, cit, p 2.

⁴ Gazzette du midi, op, cit, p2.

⁵ Moniteur algérien, op, cit, p 6.

⁶ Gazette du Languedoc, 22 année, N°5372, Vendredi, 25 juin, 1852, p 3.

⁷ Charles Féraud —Ain Beida op, cit, p 419.

⁸ Léon, Deyron: préface du maréchal juin, Souk —Ahras Edition bellénard, paris, 1953, p 18.

كالذي شرعوا في إنجازها أثناء هجوم عين السودة بأولاد ضاعن¹ لقد اشتغل في بناء هذا البرج حوالي عشرون جنديا مهندسا وعشرون مدانا عسكريا والجميع تحت قيادة الملازم الثاني ليسبرير. Lesbarrère. لقد كان أهالي سوق أهراس على علم بالهجوم الذي حصل في عين السودة من خلال رسالة تلقاها سي منصور قائد الحنانشة في 3 جوان أخبر من خلالها الملازم الثاني ليسبرير عن هذه الحادثة.

لقد كانت الأوضاع هادئة منذ ذلك الحين، ولا توجد أدنى علامة على العداء إلى غاية اليوم الثامن لكن ليسبرير لم يكن واثقا من استمرار حالة الهدوء، حيث سارع إلى اتخاذ إجراءات احترازية مختلفة في ظل أن هذا المخيم العسكري لا يتمتع بالحصانة والحماية الكافية، حيث طلب من الجنود احتجاز أنفسهم داخل الفندق الذي يتم وضعه في موقف دفاعي، وأخذوا يراقبون الوضع كما تم إغلاق جميع المخارج تقريبا كما علق ليسبرير الأمل على الدور الذي قام به سي منصور مندوب قائد الحنانشة محمد الصالح بن علي الشابي (كان مريضا آنذاك)، الذي جمع شيوخ قبائل الحنانشة مما سيوفر قوة كبيرة من الفرسان تتصدى لأي هجوم محتمل².

وقبل منتصف النهار بساعة واحدة من صباح اليوم الثامن من شهر جوان شن عناصر ينتمون إلى قبائل أولاد بشيخ التابعة لقبيلة الحنانشة هجوما قويا على برج الفندق، في وقت أن القائد ليسبرير لم يكن لديه من القوات سوى ستة وسبعون رجلا عسكريا وبعض المدنيين موجودين داخل الفندق وليست بحوزته سوى ثلاثون سلاحا ناريا يتكون من أربعة وعشرين بندقية وستة مسدسات، وهؤلاء وحدهم من راح يدافع عن البرج³ الذي ظل تحت الحصار لمدة خمسة أيام كاملة⁴ نفذ خلالها المنتفضون سبعة هجمات مع فترات من الهدوء كانت تتخللها، وطيلة هذه المدة ظل الفندق محاصرا بعدد كبير من الأشخاص المنتمين إلى مختلف قبائل الحنانشة وبعض القبائل التونسية، وحسب ما أورده ليسبرير فإن عددهم قد بلغ إثنا عشر ألف عند مطلع يوم التاسع جوان⁵ وفي رسالة بعث بها ليسبرير إلى قائد دائرة قالمة في 9 جوان اعترف

¹ Le moniteur universel, N°261, op, cit.

² Lettre du 4 juin 1852 du sous- lieutenant Lesbarrère au lieutenant-colonel Perigot commandant du cercle de Guelma, Citée dans Léon Deyron, souk Ahras. Op.cit. p 148.

³ A.N. O.M, ALG, GGA Série K, boîte 30K37: lettre du 3 Aout 1852 du capitaine Delort chef du bureau arabe de Guelma « en mission chez les Hannenchas » au lieutenant-colonel Boudville commandant du cercle de Guelma.

⁴ Charles Féraud: les Harar seigneurs des Hanencha, étude historique, revue africain, N°18, 1874, p 386.

⁵ A.N.O.M, ALG, GGA, boîte 30K37, op, cit.

فمها بأنه عالق في الفندق منذ اليوم الثامن على الساعة الحادية عشر صباحا، ويعترف فيها بخطورة الوضع قائلا : "إنني عالق في الفندق منذ اليوم الثامن على الساعة الحادية عشر صباحا استمر القتال حتى اليوم عندما أرسل لك هذه الرسالة غير متأكد من أنها ستصل إليك"¹ وكان اليوم الثاني عشر الأكثر دموية من الأيام السابقة حيث شهد تصعيدا أكبر لإطلاق النار، وتعاليت صيحات قادمة من احد المقاهي التي سيطر عليها المنتفضون تقول بأن قالمة وتبسة وقعت في أيدي العرب ، وأن البلد كله يثور ضد الفرنسيين ، وأمام هذا الحصار ونقص المؤونة تدهورت معنويات الجنود داخل الفندق بشكل كبير وأصبح بعض الرجال منهم غير قادرين على الخدمة تماما ، واستخدم المهاجمون وسائل وحيل عديدة لاقتحام المبنى ومنها حزم من الديس² لإشغاله ، غير أنه في المجمل لم ينجحوا في اقتحام الفندق في ظل التصدي الذي أبداه المدافعون عنه³.

وخلال الأيام الأربعة الأولى من حصار الفندق لم يتم اتخاذ أي إجراء ضد المنتفضين من قبل القوة الكبيرة من الفرسان التي وعد بها سي منصور مندوب قائد الحنانشة، الذي قام بزيارة إلى الفندق وأحضر أثناءها الذخيرة إلى الحامية، وقام سي منصور رفقة إخوة القائد بشن هجوم على العناصر المختبئة في محيط الفندق⁴ وتم صد المهاجمين وإجبارهم على الانسحاب متكبدين خسائر، حيث فقد الجزائريون مالا يقل عن خمسة وستون قتيلا ونحو خمسة أو ستة جرحى في حين فقد الفرنسيون قتيلا وجريحين توفي أحدهما بعد بضعة أسابيع⁵.

¹ Lettre du 9 juin 1852 du sou- lieutenant Lesbarrère au lieutenant-colonel Perigot commandant du cercle de Guelma, citée dans, Léon Deyron, souk Ahras, op, cit, p 151.

² Léon Deyron, op, cit, p 159.

³ Moniteur algérien, op, cit, p 5.

⁴ Lettre du 13 juin 1852 du sous-lieutenant Lesbarrère au lieutenant-colonel Périgot commandant de cercle de Guelma citée dans Léon Deyron, souk Ahras, Op.cit, p 153.

⁵ A. N.O.M, ALG , GGA , boîte 30K37, op, cit .

ومنذ مساء يوم الثاني عشر جوان لم يعد هناك أي أثر للمتفضين، ومع ذلك يرى ليسبرير في الرسالة التي بعث بها إلى قائد دائرة قالمة يوم الخامس عشر جوان أن "القبائل التي هاجمتنا بالفعل مستعدة للقيام بذلك مرة أخرى من خلال توحيد صفوفها مع القبائل التونسية".¹

5- دخول قبيلة بني صالح في الإنتفاضة :

لقد كان سلوك قبيلة بني صالح² تجاه الإدارة الاستعمارية عدوانيا في غالب الأحيان، إذ كانت تهمهم بالخارجين عن القانون واللصوصية من خلال سرقة الخيول في مخيماتها وعلى رأسها معسكر الذرعان³. ففي يوم 21 أكتوبر 1840 تورط بني صالح في قتل النقيب ساجيت Saget المسؤول عن المصالح الطبوغرافية لمسح البلاد على يد القائد الشيخ أحمد بن الشايب، وهو ما دفع الجنرال غينغريت على الفور إلى توجيه حملة انتقام ضد القبيلة، حيث غادرت قواته يوم 22 ديسمبر 1840 مدينة بون لتلتحم في قالمة مع قوات قادمة من قسنطينة، في حين تحرك طابور آخر قوامه ألف رجل من الذرعان بأوامر من العقيد دي ميربيك De Mirbeck قائد دائرة القالة، بالإضافة إلى قوة أخرى من المساعدين الأهالي قوامها 300 رجل واتجه الجميع نحو أراضي بني صالح، حيث قاموا بحملة تدمير ونهب واسعة فاستسلم بني صالح في حين تمكن أحمد بن الشايب من الفرار⁴.

وأثناء قيام الثورة في قالمة لم يتأخر بني صالح في إعلان عصيانهم ضد الإدارة الاستعمارية، فقد انخرطوا في انتفاضة أولاد ضاعن إذ قدموا لهم بضعة رجال، ومع ذلك لم تظهر في أوساطهم أي تحركات تبعث على القلق، وهو ما يؤكد محمد الخرازي قائد بون خلال جولة كان يقوم بها داخل القبيلة برفقة ستون رجلا من خيالة القوم، غير أن سلطات الإدارة الاستعمارية في بون راحت تتخذ إجراءات احترازية منذ اللحظات الأولى التي أعقبت ثورة أولاد ضاعن، حيث أرسل النقيب مسمر رئيس المكتب العربي في بون طلبا إلى الحرس العام لمصلحة الغابات صباح يوم 12 جوان يأمر فيه رئيس معسكر الحطابين المتكون من قاطعي

¹ Lettre du 15 juin 1852 du sous-lieutenant Lesbarrère au lieutenant-colonel Périgot commandant de cercle de Guelma Citée dans Léon Deyron, op.cit. p 153.

² بني صالح قبيلة عربية بالشمال الشرقي للجزائر تمتد أراضيها من الحدود التونسية شرقا إلى دائرة قالمة غربا ومن دائرة بون شمال إلى قبيلة أولاد بشيخ بسوق اهراس جنوبا أنظر:

-E. Carette: origine et migration op, cit, et: MM, E, carette et, Auguste Warner: carte de l'Algérie divisée par Tribus, Avril 1846.

³ Général du Baril: mes souvenirs, T1-1820-1851. 2^e édition, plon, paris, 1897, p 33.

⁴ Reni Bouyac: Histoire de Bône, imprimerie du courrier de Bône, 1891, pp 309-310.

الأشجار العسكرية في غابة بني صالح¹ هذا المعسكر الذي تم إنشاؤه في المكان المسمى فج الفول يأمره بالانسحاب إلى بارال²، لكن في وقت إرسال هذا الطلب كان المعسكر قد تعرض بالفعل للهجوم في حدود الساعة الخامسة صباحا من قبل مجموعة مكونة من ثلاثمائة إلى أربعمائة رجل ينتمون إلى هذه القبيلة على حسب ما أوردته التقارير المقدمة إلى السلطات العسكرية، إذ فقدت هذه المفزة المتكونة من ثمانية عشرة قاطعا عشرة من رجالها من بينهم المساح ماشيلارد Machilard من مصلحة الطبوغرافيا، والذي كان يرافق المفزة، ودافع الآخرون عن أنفسهم وتمكنوا من التراجع إلى القرية الاستيطانية بارال التي تعرضت هي نفسها للتهديد³ وفي اليوم الثاني عشر مساء عند سماع نبأ هذه المذبحة من قبل السلطات الفرنسية في بون توجه النقيب مسمر Messmer رفقة خمسة وعشرون رجلا من الصباحية إلى قرية بارال، وانضم إليه القائد الخزاري مع قومه من أجل حمايتها⁴ وفي اليوم الرابع عشر من جوان دخل بني صالح في الانتفاضة، حيث تحركت قافلة من الرجال قوامها ست مائة فارس من القبيلة والقبائل المجاورة يتقدمها شيخ فصيل أولاد أحمد متجهين نحو أراضي المستوطنة الزراعية بارال⁵ من أجل مهاجمة القرية لكن اعترضتها فصيلة من الصباحية وسرية من المشاة يقودها النقيب مسمر فتم صدها⁶.

وفي ليلة الثالث عشر إلى الرابع عشر جوان تلقى مسمر أنباء مفادها بأن بونتيافر ponthièvre والنشماية الواقعتين على الطريق من بون إلى قالمة على الضفة اليسرى لواد سيبوس مهددتين⁷ وبناء على

¹ A. N.O.M, ALG, GGA Série H, boîte 2H11, Lettre du 12 juin, 1852 du commandant de la subdivision de Bône au gouvernement général.

² A.N. O.M, ALG, GGA, boîte 2H11, op.cit.

³ A.N.O.M, ALG, GGA Série H, boîte 2H11 : Lettre du 13 juin, 1852 du lieutenant des bouchérons militaires au colonel de Tourville commandant La Subdivision de Bône et :
—Lettre du 15 juin 1852 du garde général du service des forêt Henrik au préfet de Constantine.

⁴ Le pays, 4^e année, N°184, Vendredi, 2juillet, 1852, p1.

⁵ بارال قرية تبعد عن بون جنوبا ب 30 كلم أنظر:

Pierre Fontana, dictionnaire des communes de l'Algérie, Alger, 1903, p 26.

⁶ Moniteur algérien, op, cit, p5.

⁷ Le pays, op, cit.

أمر من المقدم هوريت Hauret ذهب مسمر مع الصبايحية لتقديم المساعدة لهذه القرية¹ غير أنه بوصوله وجد النشماية يسودها الهدوء وفي حالة دفاعية جيدة وبالتالي فالمعلومات التي وردته كاذبة². وفي هذه الأثناء القائد محمد الخرازي تحرك رفقة قواته من أجل حماية قريتي موندوفي Mondovi وبارال ضد هجمات بني صالح وقواتهم المحتشدة هناك في برج عكار³ وعند رجوع النقيب مسمر من النشماية وصلته أنباء مفادها أن بني صالح يحاصرون برج عكار بالقرب من بارال ، حيث يوجد هناك القائد الخرازي فتوجه مسمر نحوه لفك الحصار عنه فتم تنفيذ العملية من قبل فصيلة من الصبايحية التي عبرت واد سيبوس⁴ وهاجمت بني صالح وقتلت منهم عشرة رجال⁵ ومن ناحية أخرى عندما عبروا إلى الضفة اليمنى من واد سيبوس أصيب الكابتن مسمر⁶ برصاصة قاتلة من بني صالح ، حيث تم نقله إلى بارال وتوفي هناك في السادس عشر جوان فتولى مكانه النقيب بيات piat وتم تحرير القائد الخرازي⁷.

وفي ظل هذه التطورات دخل بني صالح شيخ أولاد سنان السابق عبد الوهاب رفقة ابنه محمد عائدين من منطقة القبائل ، حينها بدأ لهيب الانتفاضة يتسع نتيجة التحريض من الرجلين ، حيث امتدت إلى قبائل

¹ Moniteur algérien, op.cit.

² وحسب ما أورده الجريدة نفسها فإن الخرازي كان عليه أن يتبع النقيب مسمر إلى النشماية لكن وردته أخبار من جاسوس حذره فيها من بني صالح فاضطر إلى حبس نفسه في برج عكار أنظر: . Le pays, op.cit.

³ A. N. O .M, ALG, GGA Série K, boîte 1K84 : compte-rendu de l'insurrection de 1852 et des opérations militaires, Op.cit.

⁴ واد سيبوس مجرى مائي تشكل من اتحاد وادين صغيرين أحدهما من الهضاب العليا في منطقة الحراكتة ويتجه نحو واد الشارف الذي يمر عبر قالملة والواد الثاني وهو واد الزناتي أنظر:

Octave Teissier: Algérie géographique, Hachette, paris, 1865, p 20.

⁵ Le pays, Op, cit.

⁶ كان مسمر رقيبا أول في مدرسة سان سير التي كان يشرف على قيادتها الجنرال باراغواي دي هيلبيه ثم

طرد منها وذهب إلى أصفاهان حيث عمل قائد سرب في مدفعية الشاه ومن هنا لقبه القائد روفيقو بن

ماتو (ابن القط) ثم عاد إلى الجيش الفرنسي وأصبح نقيبا سنة 1849 ورئيس المكتب العربي في بون أنظر:

-Du Baril : mes souvenirs, Tome Premier 1820, 1851, Douzième édition, plon, paris, 1897, pp

172 – 174.

⁷ Le pays, op, cit.

أولاد مسعود والشبابنة وأولاد ناصر الواقعة شرق بني صالح على طول الحدود التونسية¹ ولكن سرعان ما تراجعت الانتفاضة وتفرق عناصرها ربما لخوفهم من عواقب مقتل النقيب مسمر الذي أشعرهم بخطورة الانتقام ضدهم² ولجأ بعضهم إلى القبائل المجاورة أو إلى تونس لاسيما قبيلة وشتاتة³ والآخرين يختبئون في الغابة الكثيفة في بلادهم، وما أن حل شهر جويلية حتى تمت السيطرة على الانتفاضة بشكل نهائي عندما تم حشد رتل من قوة التدخل السريع التابعة للعقيد دي تورفيل التي دخلت أراضي بني صالح ومشطتها في كل الاتجاهات وطاردت السكان، حيث فر منهم الكثير إلى تونس وأبادت كل من وقع تحت الأسر⁴ وفي 14 جانفي 1853 صدر أمرا يقضي بالحجز على جميع أراضي القبيلة وإلحاقها بالدولة⁵. وبقيت قبيلة بني صالح تتمتع بسمعة سيئة لدى السلطات الاستعمارية مما زاد من تشديد العقوبات عليها «إن العقوبات القاسية على أولاد ضاعن وبني صالح ستكون بمثابة مثال لسكان الشرق الجزائري لفترة طويلة قادمة كل شيء يوحي بأن السلام مضمون لفترة طويلة⁶» وفي 9 جوان 1853 تم الإعلان عن القائمة الإسمية لـ 277 شخص من قبيلة بني صالح المتضررين من الحجز بعد اقتراحها على القائد العام لناحية قسنطينة⁷ وفي 13 فيفري 1857 تقرر تأجير أراضي بني صالح للسيد محمد بن يعقوب قائد بون⁸.

¹ A.N.O.M, ALG, GGA Série H, boîte 6H33: Fiche biographique de Mohamed ben Abdelouaheb cheikh de la cheffia.

² A. N.O.M, ALG, GGA, Série K, boîte 1K90 : Lettre du 30 mars 1858 du général périgot commandant la subdivision de Bône au général commandant de la division de Constantine.

³ Journal des villes et des compagnes, 29^e année, N°132, jeudi, 12 Aout, 1852, p 2.

⁴ Lettre du gouverneur général Randan au ministre de la guerre, Trouvé dans: -Moniteur algérien, 15 octobre, 1852, op, cit, p 6.

⁵ M, P, De Ménerville: dictionnaire de la législation Algérienne, premier supplément 1853, 1854, 1855, paris, 1856, p6.

⁶ A. N.O.M, ALG, GGA Série K, Boite 32K24: rapport du bureau des affaires arabes du cercle du Guelma pour l'année 1853 par Mesrine chef du bureau arabe 27 mars, 1854.

⁷ A.N.O.M, ALG, GGA Série F, Boite 3F31, Dossier N 2894 : Rapport de Dax, liste nominative des indigènes de la Tribu des Beni Salah atteints par le séquestre, Séance du 9 juin, 1853.

6- مجهودات الإدارة الاستعمارية للقضاء على الانتفاضة :

لقد أعطى الحاكم العام للسلطات العسكرية في محافظة قسنطينة الأمر بالانتقام المدوي ضد كل من كان وراء أعمال العنف وممارسة القمع الشديد والمستحق ضد الثائرين¹. ففي اليوم الأول من جويلية عاد الجنرال دي ماكماهون de Mac-Mahon قائد مقاطعة قسنطينة من العمليات العسكرية التي كان يقودها في شبه جزيرة القل² من أجل التحرك في منطقة الاضطرابات الحاصلة في شرق المحافظة، وفي اليوم الرابع من جويلية غادر قسنطينة على متن رتل مكون من خمسة كتائب وأربعة مدافع جبلية وسرب من الصيادين وثلاثمائة بغل في اتجاه الطريق المؤدي إلى تيفاش³ وفي اليوم الحادي عشر من جويلية دخل إلى المكان المسمى عين تامتماط، حيث انظم إلى الجنرال دوتمار المتمركز بقواته هناك⁴ والذي خرج من عين البيضاء في الواحد والعشرون من شهر جوان متجها إلى بلاد الحنانشة⁵ فشكل الاثنان رتلا قوامه ثمانية كتائب و أربعة أسراب وستة مدافع جبلية⁶ وبعد أن حصل ماكماهون على إذن بالذهاب لملاحقة القبائل المنتفضة التي فرت شرقا إلى الأراضي التونسية غادر الرتل معسكره بعين تامتماط يوم الثاني عشر جويلية على الساعة الرابعة مساء متجها جنوبا إلى تبسة نحو سيدي يحيى بن طالب (شمال المريج)، بناء على تقارير جواسيس مفادها أن قبائل أولاد خيار و بني بربر ومجموعات أخرى من الحنانشة يتجمعون هناك في سهل فاتيلا على ضفتي واد أوريمير على الحدود مع الأراضي التونسية، وفي الساعة الثالثة من

⁸ A. N.O.M, ALG, GGA, Série F, boîte 3F41, Dossier N1008 : Rapporteur Delorme location pour 3 ans au sieur Mohamed ben yacoun caid de Bône de la terre des Beni Salah, Séance du 13 Février, 1857.

¹ Gazzette du midi, N°6001, op.cit.

² Ernest mercier: Histoire de Constantine, marle et Biron, Constantine ,1903, p 546.

³ Moniteur Algérien ,15 octobre, op cit, p 6.

⁴ Le Moniteur universel, journal officiel de la république Française, N°209, mardi, 27 juillet 1852, p 2.

⁵ Gazzette du midi, op, cit.

⁶ Tableau de la situation des établissements Français dans L'Algérie 1850-1852, imprimerie impériale, paris, p 14.

صباح اليوم الموالي وصلت قوات ماكماهون إلى هذا السهل¹ ومع اقتراب الرتل اتجه الفارون شمالا نحو الجبل الصخري المعروف بقلعة سنان (مائدة يوغرطة)². وفي الثاني عشر جويلية العقيد دي ميريك من فرقة المطاردين الأفارقة الثالثة يكلفه ماكماهون بمهمة بدء الهجوم³ وبعد مسيرة سريعة وصلت قواته إلى المكان في الثالث عشر من جويلية وهناك دارت بينهما معركة مريبة على سفح الجبل⁴ قتل خلالها مائتي رجل من الحنانشة، فضلا عن غنائم كبيرة وصلت إلى عشرون ألف خروف و ألفي ثور، وعلق على ذلك العقيد دي تورفيل قائد قسم بون قائلا "أعتقد أن هذا النجاح سوف يمضي قدما ولن نسمح بالتساهل مع المتمردين"⁵ وفي رسالة من الجنيرال ماكماهون بتاريخ 14 جويلية من سيدي يحيى بن طالب وصلت في اليوم 19 إلى مدينة الجزائر تضيف هذه التفاصيل «لقد تسببت المعركة في خسارة ما بين ثلاثة إلى أربعمئة رجل وتمت إزالة ما بين ألف إلى ألف و مائتي خيمة و أعيد إلى المخيم قطع كبير من الأغنام و البقر و حوالي خمسون جملا وقتل من جانبنا أربع رجال و جرح عشرة»⁶ وفي الرابع عشر جويلية منح ماكماهون قواته يوما للراحة، و في اليوم الخامس عشر اتجه شمالا عبر الحدود لقمع قبائل الحنانشة الأخرى و بني صالح الذين لجأوا إلى قبيلة وشتاتة التونسية التي ظلت منذ احتلال الجزائر ملجأ آمنا، حيث تمت مدهمتهم هناك يوم الرابع و العشرون جويلية، و تم نهب العديد من القطعان التابعة لبني صالح الذين كانت مقاومتهم شبه معدومة داخل الأراضي التونسية⁷ وخلال هذه السلسلة من العمليات قام العقيد دي تورفيل الذي بقي مع أولاد ضاعن بتمشيط البلاد و جمع القطعان و معاقبة جميع فصائل القبائل التي أبدت أي مقاومة من المشاعلة و أولاد ضاعن، و بهذا

¹ A- marjolet: Historique de 3e régiment de zouaves, la Vauzelle, paris, 1887, p 25.

² Moniteur algérien ,15 octobre, op, cit.

³ Ferdinand Quesnoy: L'armée d'Afrique depuis la conquête d'Alger, op, cit. P 8.

⁴ Moniteur universel, 27 juillet, 1852. Op, cit, p2.

⁵ A.N.O.M, ALG, GGA Série H, Boite2H11: Lettre du 16 juillet,1852 du colonel de tourville commandant la subdivision de Bône au gouverneur général (lettre écrite de Ain souda).

⁶ Le Moniteur universel ,27 juillet, 1852, op, cit, p 2.

⁷ A. marjolet, Historique de 3^e régiment de zouaves, op, cit, p 25.

يرى الجنيرال ماكماهون أن أعمال العنف و الثورة في الشرق قد تم قمعها في كل مكان و أن الوقت مناسب لمنح قواته الراحة التي عاد رفقتها إلى سوق أهراس و انضمت إلى حامياتها المختلفة¹. وفي السادس أوت وصلت الكتيبتان الأولى والثانية من قوات ماكماهون إلى قسنطينة ،وفي السابع والعشرون سبتمبر تلقت الكتيبة أوامر بالمغادرة وفي اليوم التاسع والعشرين انضمت إليها ثلاثة أسراب من الرماة الأفارقة وسرب من الصبايحية، حيث تم تنظيم قافلة بأوامر من العقيد دوتماري وصلت في ثلاثون سبتمبر على الساعة الخامسة صباحا إلى أولاد محبوب² وهي جزء من قبيلة السقنية ، حيث كانت ترفض باستمرار تقديم البغال اللازمة لنقل الأرتال خلال العمليات العسكرية، فضلا على أنه تجمع عدد معين منهم في الحراكطة وشاركوا معهم في مهاجمة عين البيضاء³ حيث تم محاصرة الدوار المكون من حوالي عشرون خيمة وقتل كل من حاول الدفاع عنه ،وفي حدود الساعة الحادية عشر صباحا انتهت العملية إذ فقدت القبيلة أزيد من ألف ومائتي رأس من الماشية ، أما القوات الفرنسية فقدت رجل واحد وجرح أربعة⁴ ثم عادت الكتيبة الأولى إلى قسنطينة في الثاني من أكتوبر، وفي عشرون أكتوبر تم لم شمل الرتل بأكمله في قسنطينة ليسلمه الجنرال ماكماهون للتفتيش العام⁵.

7- الخسائر المادية والبشرية للانتفاضة:

لقد أسفرت العمليات العسكرية العديدة لهذه الانتفاضة على خسائر مادية وبشرية فادحة ،غير أنه لعدم تكافؤ العدة والعتاد فإن القبائل الثائرة هي التي تكبدت الخسائر أكثر، أما عن صحة ودقة الخسائر بالأرقام فهو أمر يصعب التأكد منه ماعدا في بعض الأحداث الواضحة كهجوم عين السودة بأولاد ضاعن الذي راح ضحية أربعة عمال من المعسكر⁶ وفي انتفاضة بني صالح أسفرت على مقتل اثنا عشرة شخص من ضمنهم عشرة من مفرزة الحطابين وجنديين من بين ثلاثة في طريقهم من بون إلى بني صالح لتسديد أجور عمال المفرزة ،والحدث الهام الذي اهتزت له محافظة قسنطينة بأكملها هو مقتل النقيب مسمر⁷.

¹ Moniteur algérien, 15 octobre, 1852, op.cit, p6.

² A- marjoulet, Historique de 3^e régiment, op, cit, p25.

³ Tableau de la situation des établissements Français dans l'Algérie, 1850,1852, op, cit. Et: le mémorial bordelais, N°14556, samedi, 6 novembre, 1852, p3.

⁴ Journal des villes et des compagnes, 39 années, N°173 vendredi 5 novembre, 1852, p5.

⁵ A-marjoulet, Historique de 3^e régiment de zouaves, op, cit, p25.

⁶ A.N.O.M, ALG, GGA, boîte 1K84 compte rendu de l'insurrection de 1852 et des opérations militaires, op, cit.

⁷ Le pays, 2 juillet, 1852, op, cit, p1.

أما عن بقية المعلومات عن الخسائر المادية والبشرية فقد تكون صحيحة وقد تكون تقريبية فقط فأحيانا نجد هناك تضارب للأرقام في نفس الحدث، وأحيانا يتم عرضها بشكل تقريبي فقط بسبب عدم وجود عملية إحصاء دقيقة لنتائج الأحداث، أو لظروف حالت دون إجرائها كما هو الحال في معركة كاف لعكس حين تم إلقاء العديد من الضحايا في الوديان، ومن جهة أخرى أخذ عناصر الانتفاضة لبعض الجثث¹ كما أن بعض الضباط الفرنسيون قد يميلون أيضا إلى المبالغة في التصريح بهذه النتائج وبشكل تقريبي غير مضبوط من جانب الجزائريين لإبراز شراسة المواجهات لتضخيم الميزانية العمومية، وقد يكون الأمر لإبراز مدى كفاءة القيادة، كما ورد في رسالة ماكماهون بتاريخ الرابع عشر جويلية 1852 بخصوص نتائج المواجهة مع الحنانشة في قلعة سنان² وأثناء الهجوم على فندق سوق اهراس فإن التقارير لا تحدد عدد الضحايا وتشير إلى القتلى من جانب الجزائريين فقط³ وأثناء الحملة الموجهة ضد أولاد محبوب كانت الحصيلة أزيد من ألف ومائتي رأس من الماشية وقتل كل من أراد التصدي للقوات الفرنسية التي لم تفقد إلا رجل واحد⁴

8- تداعيات الانتفاضة على تونس:

لما علم الجنرال ماكماهون بأن العديد من العناصر الفارة من القبائل المشاركة في الانتفاضة قد دخل إلى الأراضي التونسية لم يتردد في ملاحقتهم، حيث اجتاز الحدود مرتين، فأما الأولى فكانت في اتجاه قلعة سنان قادما إليها من أولاد سيدي يحيى بن طالب، إذ واجه هناك فصائل مختلفة من قبيلة الحنانشة (أولاد خيار وبني بربر على وجه الخصوص) في الرابع عشر جويلية 1852، وأما المرة الثانية كانت بتوغله شمالا حيث عبر الحدود متجها إلى قبيلة وشتاتة لما علم أن جزء كبير من بني صالح لجأ إلى هناك حيث تمت مواجهتهم في الرابع والعشرين جويلية⁵.

لقد أدت هذه التوغلات التي قام بها الجيش الفرنسي داخل الأراضي التونسية إلى رد فعل قوي إلى حد ما من قبل باي تونس الذي أدان أمام القنصلية الفرنسية هذه الأعمال العدوانية التي كانت ضحيتها القبائل

¹ ANOM, ALG, GGA, boîte 1K84, compte- rendu de l'insurrection de 1852 et des opérations militaires, op, cit.

² Le moniteur universel, 27 juillet, 1852, op, cit, p2.

³ Lettre du 9 juin 1852 du sou- lieutenant Lesbarrère au lieutenant-colonel Périgot commandant du cercle de Guelma, Citée dans Léon Deyron, op, cit, p 151.

⁴ Journal des villes et des compagnes, 5 novembre, 1852, op, cit, p 5.

⁵ A- marjoulet: Historique de 3^e régiment, op, cit, p 25.

التونسية ،وأصدر شكوى قوية للغاية ضد اختراق أراضيهِ¹ ويرى الجنرال دوسان أرنو De saint Arnaud وزير الحربية أن ملاحقة عناصر الانتفاضة داخل الأراضي التونسية أمر خطير لكن الظروف تحتم ذلك حيث يقول " كان من المأمول فقط ألا يكون الجنرال ماكماهون قد زاد الأمور تعقيدا من المؤسف أكثر أنه يعتقد أنه يحق له إصدار أوامر إلى قائد تونس وخاصة حرق محاصيل التونسيين²" ويذكر ماكماهون في مذكراته أنه بعث إلى باي تونس برسالة لأنه لم يقم كما وعد بصد القبائل الجزائرية التي لجأت إلى أراضيهِ حيث يؤكد " اعتذر لي هذا الباي وأرسل لي وسام افتخار (فخري) من الدرجة الأولى مع صليب من الماس " ³ فقد كادت التطورات الحاصلة داخل الأراضي التونسية أن تؤدي إلى حرب مع باي تونس ، حيث كان الاستعداد لإرسال ثلاثمائة فارس إلى واد الصراط لكن قيادة الجيش أوقفت هذه الترتيبات ،وفي هذه الأثناء جاء أولاد بوغانم لنهب مرابط أولاد سيدي يحيى بن طالب إنتقاما منه لأنه وجه الفرنسيين ضدهم ،مما أدى إلى هروب أولاد سيدي يحيى بن طالب إلى جبالهم وتم تكليف النقيب أليغرو قائد تبسة بمهمة طمأنتهم⁴.

8- ترقية الجنود والضباط البارزين في الانتفاضة

خلال هذه الانتفاضة كان لعدة جنود وقيادات من القوات الفرنسية مساهمات بارزة في عدة مواجهات هامة ضد القبائل الثائرة ،وهو ما سمح لهم بالارتقاء على مستوى مناصبهم نظرا للدور الذي قاموا به⁵ فالنقيب مسمر رئيس المكتب العربي في بون الذي يبرز دوره في انتفاضة بني صالح ولقي مصرعه على أيديهم ،كانت جنازته يوم الخميس السابع عشر جوان حضرتها السلطات المدنية والعسكرية وموظفوا كافة الخدمات وعدد كبير من المواطنين من كافة الطبقات حتى بعض الوجهاء من الأهالي لتقديم تحية أخيرة له ،و أعيدت إليه الأوسمة العسكرية المستحقة لرتبته " السيد مسمر نقيب الصبايحية رئيس

¹ A.N.O.M, ALG, GGA, Série K, boîte 33K1 : Lettre du 14 juillet, 1852 du général mac mahon commandant la province de constantine au capitaine Foucault commandant le post de Souk Ahras.

² A.N.O.M, ALG, GGA, Série H, boîte 2H11 : Lettre du 2 Aout ,1852 de général de saint arnaud ministre de la guerre au général Randon gouverneur général.

³ Edme patrice Maurice: Mémoire du maréchal de mac mahon du magenta – souvenirs d'Algérie- plom, paris, 1932, p, 245.

⁴ Mémorial Bordelais, N°14472, vendredi ,13 Aout, 1852, pp 1-2.

⁵ La patrie, 53 années (1841-1937) ,7 Janvier, 1894, p 2.

المكتب العربي لبون أحد الضباط الشجعان والأذكياء في جيشنا الأفريقي يسقط تحت رصاصة مواطن كان يأتي يوميا ليتعبه باحتراماته الكاذبة¹. وفي حادثة برج الفندق في مركز سوق اهراس لعب الملازم الثاني ليسبرير دورا هاما في الأحداث بقيادته للقتال رفقة عناصر أخرى من المفزة، ففي الخامس عشر جوان 1852 بعث ليسبرير تقريراً مفصلاً لقائد دائرة قالمة عن أبرز أحداث الأيام الخمسة من حصار الفندق، واقترح في هذا التقرير مكافأة بعض العناصر الناشطة من المفزة وتضمنت القائمة رقيب وعريف وبناء وأرملة قتل زوجها في إحدى الهجمات². وفي يوم الإثنين السادس عشر أوت 1852 أقام الأمير رئيس الجمهورية حفلاً في قصر سان كلو تم خلاله ترقية وتعيين مجموعة معتبرة من أفراد الجيش إلى وسام جوقة الشرف وشمل ذلك بعض القادة وعلى رأسهم العقيد دي تورفيل قائد قسم بون إلى عقيد أركان، وأما الضباط فممنهم ليسبرير ملازم ثاني ودوماريكس عقيد من فوج المشاة العاشر³ الذي أشاد به الجنرال دي ماكماهون القائد العام للإقليم في الواحد والعشرين فيفري 1853 قائلاً " لا يستطيع الجنرال إلا أن يشيد بالعقيد دوماريكس الذي أظهر في هذه المناسبة كما هو الحال دائماً أنه أب لرجاله كما أظهر نفسه في القتال لم يظهر أي قائد اهتماماً أكبر منه في أي وقت مضى"⁴.

¹ Gazette du midi, 4 juillet, 1852, op, cit, p2.

² Lettre du 15 juin, 1852 du sou lieutenant Lesbarrère au lieutenant-colonel Périgot commandant de cercle de Guelma Citée dans Léon Deyron, Souk Ahras, op, cit, p, 161.

³ Journal des débats, jeudi, 12 Aout, 1852, p1.

⁴ La patrie, 7 janvier, 1894, op, cit, p 2.

الخاتمة:

-بعد دراستنا لهذا الموضوع توصلنا إلى عدة نتائج نلخصها فيما يلي:

-تميزت انتفاضة أولاد ضاعن بنواحي قالمة بطابع التأثير على القبائل الأخرى المجاورة.

-انتشار الانتفاضة وتوسعها يعكس الروح المعادية للجزائريين، التي يمكن أن تتحول في أي لحظة إلى صدام ضد الاحتلال الفرنسي.

-إنتفاضة أولاد ضاعن جسدت طابع العداء وعدم الموالاة للإدارة الاستعمارية، الذي تميزت به هذه القبيلة منذ السنوات الأولى للاحتلال، حيث قاومت التوسع الاستعماري في الجنوب الشرقي لمنطقة قالمة.

إن القبائل المنتفضة سنة 1852 فضلا عن قبيلة أولاد ضاعن تعرف بطبعها من ضمن القبائل الرافضة والخارجة عن الطاعة منذ العهد البايلي على غرار قبيلة الحنانشة التي يسجل تاريخها العديد من المواجهات مع بايلك الشرق وبايات تونس، ونفس الشيء يقال عن قبيلة الحراكتة غير مطيعة وصعبة المراس، فكان العداء للأجانب سمة بارزة في تاريخ هذه القبائل.

-تميزت انتفاضة أولاد ضاعن بالروح الجماعية في ثورة القبائل، وهو ما يختلف عن الكثير من الانتفاضات التي كانت قائمة على زعامات أو قيادات معينة.

-السياسة الممنهجة للإدارة الاستعمارية تجاه القبائل الثائرة بعد الانتفاضة، والتي تركز على تشديد العقاب وتفكيك الجهة الداخلية لإضعاف الروح الجماعية وتفكيك وحدة الصف من خلال إعادة الهيكلة وتغيير القيادات والنفي ومصادرة الأراضي والتهجير.

-إن سياسة الإدارة الاستعمارية في التعامل مع الأحداث تركز غالبا على منطق القوة والعقاب لفرض الأمر الواقع.

قائمة المصادر:

1- الأرشيف الفرنسي:

1-A,N,O,M, ALG , GGA , Série F , Boite 3F17 , Dossier N 1197,demande Formée par le sieur Chirat a l'effet d'obtenir concessions des mine de cuivre d'antimoine et de plomb situées dans le Territoire de Harakta province de Constantine, 1846.

2- A, N, O, M, ALG, GGA Série F, Boite, 3F31, Dossier N 2894, Rapport de Dax, liste nominative des indigènes de la Tribu des Beni Salah atteints par le séquestre, Séance du 9 juin, 1853.

3- A ,N ,O ,M , ALG , GGA Série F, Boite 3F41,Dossier N 1008, Rapporteur Delorme location pour 3 ans au sieur Mohamed ben yacoun caid de Bône de la terre des Beni Salah , Séance du 13 Février, 1857.

4-A,N,O,M, ALG, GGA Série H Boite 2H11, Lettre du 12 juin, 1852 du commandant de la subdivision de Bône au gouvernement général.

5- A, N, O, M, ALG, GGA Série H, Boite 6H33, Fiche biographique de Mohamed ben Abdelouahed cheikh de la cheffia.

6-A, N, O, M, ALG, GGA Série M Boite 1M80/ 118, Dossier N°18 cartes 1888 - 1891 Tribu des Sellaoua Announa Bir Menten Zouabi Maida oued Ham mimine Khamissa oued M'guesba

7-A, N, O, M, ALG, GGA Série K, Boite 1K84, Rapport de 6 juillet 1852 du capitaine delort chef du bureau arabe de Guelma sur l'insurrection du cercle en 1852.

8-A, N, O, M, ALG, GGA Série K, Boite 1K90, Lettre du 30 mars 1858 du général périgot commandant la subdivision de Bône au général commandant de la division de constantine.

9-A, N, O, M, ALG, GGA Série K Boite 30K37, lettre du 3 Aout 1852 du capitaine delort chef du bureau arabe de Guelma « en mission chez les Hannenchas » au lieutenant-colonel Boudville commandant du cercle de Guelma.

10- A, N, O, M, ALG, GGA Série K, Boite 32K24, rapport du bureau des affaires arabes du cercle du Guelma pour l'année 1853 par Mesrine, chef du bureau arabe 27 mars, 1854.

11-A, N, O, M, ALG, GGA Série K, Boite 33K1, Lettre du 14 juillet 1852 du général mac mahon, commandant la province de constantine au capitaine Foucault commandant le post de Souk Ahras.

2- الكتب المصدرة:

1-E, carette: origine et migrations des principales Tribus de l'Algérie, imprimerie impériale, paris.

2-Charle Féraud: Ain Beida, revue Africaine, N°96, 1872, pp, 407- 410.

- 3- Charles Féraud: les Harar seigneurs des Hanencha, étude historique, revue africain, N°18, 1874.
- 4- J- Maguelone: Monographie Géographique et historique de la Tribu des sellaua kherareb, 5^e volume de la 5^e série, constantine ,1914.
- 5- Ferdinand Quesnoy: L'armée d'Afrique depuis la conquête d'Alger, Librairie Furne, Paris, 1888.
- 6-Léon, Deyron: préface du maréchal juin, Souk –Ahras, Edition Belle nard, paris 1953, p 18.
- 7-. Charles Féraud: les Harar seigneurs des Hanencha, étude historique, revue africain, N°18, 1874.
- 8-E. carette: origine et migration, op, Cit. Et :MM, E, carette et Auguste Wanier: carte de l'Algérie divisée par Tribus Avril 1846.
- 9- Général du Baril: mes souvenirs, T1-1820-1851. 2^e édition, Plon, paris, 1897.
- 10-Reni Bouyac: Histoire de Bône, imprimerie du courrier de Bône, 1891.
- 11-Pierre Fontana: dictionnaire des communes de l'Algérie, Alger, 1903.
- 12- Octave Teissier: Algérie géographique, Hachette paris 1865, p 20.
- 13-D. M, P, De Ménerville: dictionnaire de la législation Algérienne, premier supplément 1853, 1854, 1855, paris ,1856, p6.
- 14-Erimest mercier: Histoire de Constantine ,marle et Biron, Constantine, 1903.

15-Tableau de la situation des établissements Français dans L'Algérie 1850-1852, imprimerie impériale, paris, p 14.

16- A marjoulet: Historique de 3^e régiment de zouaves, la Vauzelle, paris, 1887.

17-Edme Patrice Maurice: Mémoires du maréchal de mac mahon du magenta - souvenir d'Algérie- Plon, paris, 1932, P245.

3-الجرائد:

1- L'indépendant de la Charente inférieure, cinquièmes année, N° 547, dimanche, 20 juin 1852.

2- Moniteur algérien, journal officiel de la colonie, vingt unième année, N°1196, 25 juin 1852.

3-Moniteur algérien, journal officiel de la colonie, vingt unième année, N°1218, 15 Octobre, 1852.

4- Le Moniteur universel, journal officiel de la république Française, N°261, Vendredi, 17septembre ,1852.

5- le Moniteur universel, journal officiel de la république Française, N°209, mardi, 27 juillet ,1852.

6- journal des villes et des compagnes, 39^e année, N°108, Vendredi, 25 juin, 1852.

7-journal des villes et des compagnes, 29^e année, N°132, jeudi,12 Aout, 1852.

8- Journal des villes et des compagnes, 39 années, N°173, vendredi ,5 novembre, 1852.

9- L'industrie, journal du commerce et du travail, 8^e année, N°146, mercredi, 23 juin, 1852.

10- L'Atlas, 3^e année, N°320, Samedi, 28 juin, 1851.

- 11- Le siècle, 17^e année, N°5991, mercredi ,12 mai, 1852.
- 12-Le siècle, Dix septièmes année, N°6040, Jeudi, 1^{er} juillet, 1852.
- 13- Le petit courrier, 31^e année, N°571, Vendredi, 25 juin, 1852.
- 14- Gazzette du midi, N°6001, dimanche 4 juillet ,1852.
- 15-Gazzette du Languedoc ,22 année, N°5372, Vendredi, 25 juin ,1852.
- 16-Le pays, 4^e année, N°184, Vendredi, 2juillet, 1852.
- 17-Mémorial Bordelais, N°14472, vendredi, 13 Aout, 1852.
- 18- La patrie, 53 années (1841-1937) ,7 Janvier, 1894.
- 19-Journal des débats, jeudi, 12 Aout, 1852.